17

عودة النسانيس

قال سندباد :

واتفقنا على أن نستعد للرحلة في صباح الغد، فجمع كلٌّ منا ما كان يحرص عليه من متاع، وجعلناه في جوف السفينة، ونمنا نومًا سعيدًا هانئًا في انتظار الصباح . . .

ثم استيقظنا مبكرين، وأسرعنا جميعًا إلى السفينة وفى ظنِّنا أننا نستطيع أن نجرها بسهولة إلى الشاطئ، ولكن أملنا خاب حين وجدناها ثابتةً على الأرض فلا نكاد نستطيع تحريكها . . .

وأشار علينا أبو الإسعاد ان نفتل حبلًا غليظًا قويًا، ونربطه بها ثم نجرها؛ فأعجبتنا الفكرة، وقضينا سائر يومنا ونحن نجمع ما تيسَّر من ألياف الشجر لنصنع منها حبلًا، ثم أوينا إلى مضاجعنا لنستأنف العمل في الصباح الباكر بنشاط، فنفتل الحبل ثم نربطه بالسفينة ونتعاون على جرِّها إلى الشاطئ . . .

فلما أصبحنا، جلس أبو الإسعاد يفتل الحبل، وجلس الشيخ بين يديه يساعده، أما أنا وأبي وباقر فأخذنا ننظف الأرض ونسويها في الطريق الممتد بين السفينة والشاطئ، حتى لا تمنعها عقبة من الانزلاق بسهولة إلى الماء؛ فلما أتممنا تنظيف الأرض وتسويتها، رأى باقر أن يرشها بالماء حتى تتوحَّل، ليساعدها الوحل على الانزلاق، فما زال يرش الأرض بالماء حتى صارت كالصابون .

ولم يلبث أبو الإسعاد أن فرغ من فتل الحبل، فربطناه بمقدم السفينة، ثم جعلنا في طرفه عروة كبيرة نمسكه منها، واستعددنا للجرِّ . . .

وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب، فاقترح أبي أن نستريح يومنا ونتهيأ لاستئناف العمل في الصباح؛ ولكن أبا الإسعاد صاح به: كفى تأخيرًا، فلنجرها الآن إلى الشاطئ، لنبيت فيها ليلتنا ونبحر في الصباح.

فأطعنا رأيه، وأمسكنا بعروة الجبل نجذبه ثم انجرت؛ ولكنها لم تكد تنتقل من مكانها حتى بدأنا نشعر بالوحل تحت أقدامنا كأنه رغوة صابون، ولم يلبث أبو الإسعاد أن زلق، فوقع على وجهه في الوحل وجرنا وراءه ثم نهضنا ولم نكد، ولكن بعد أن تلوثت ثيابنا وأيدينا ووجوهنا . . .

وآمَنَّا بعد هذه الزُّحلوقة أنَّ من الخير الانتظار إلى الصباح حتى يجف الطين؛ وعدنا إلى الأرض الجافة حيث افترش كل منا بعض ثيابه ونام . . .

وما كان أشد دهشتنا حين استيقظنا في الصباح فلم نجد الحبل حيث تركناه ولم نجد السفينة حيث كانت، ورأينا آثار جرها على الوحل، فلم ندر من فعل ذلك قبل أن نستيقظ . . .

ومشينا على آثار السفينة إلى الشاطئ، ولكننا لم نجد لها أثرًا . . .

أين ذهبت سفينتنا الغالية التي بذلنا في صنعها جُهْد الأيام والليالي حتى أتممناها؟ من أخذها وأين اختفى بها ؟ وكيف نعثر عليها ؟

قال أبو الإسعاد : النسانيس هم الذين أخذوها واختفوا بها ليبحروا على ظهرها إلى جزيرة أخرى، ولن نعثر عليها بعد، ولن نجد وسيلةً أخرى للخروج من هذه الجزيرة الملعونة!

قال باقر: نعم، إنها النسانيس!

قال الشيخ : لقد هلك النسانيس جميعًا فليس منهم على ظهر هذه الجزيرة نسناس!

قال أبو الإسعاد وهو يتلفَّت حواليه خائفًا : النسانيس ما زالوا أحياء يتربصون بنا الشر، لقد سرقوا سفينتنا اليوم، وغدًا يسرقون أرواحنا !

قال أبي في هدوء : لا تظلموا النسانيس؛ إن الذين سرقوا سفينتكم من البشر لا من النسانيس؛ انظروا إلى آثار أرجلهم في الوحل؛ إنها أرجل آدمية لا أرجل نسانيس؛ هاتان قدمان، وهاتان قدمان أخريان وهذه أقدام كلب؛ لقد كان معهم كلب . . .

قال الشيخ وهو ينظر معه إلى آثار الأقدام في الوحل : صدقت يا شهبندر؛ هذه أقدام بشر لا أقدام نسانيس؛ فمن هؤلاء ؟ وماذا جاء بهم إلى هذه الجزيرة ؟ ولماذا سرقوا سفينتنا وتَوَاروا بها؟

إن شرًّا مما نتوقع، يتربَّص بنا في هذه الجزيرة الملعونة . . .